حول الرقية

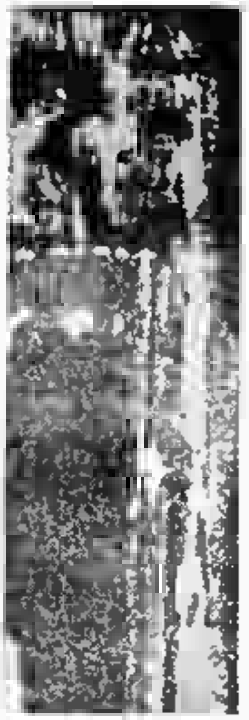

قصة : احمد هاشم الشريف

وجد نفسه عاجزا عن الحركة يتنفس بصعوبة وسط الزحام ٠٠ قلعة منهارة بين مدافع مصوبة ٠٠ فمن الذى جمع قطعة حلوة ودعى الذباب الى وليمة ؟ من الذى صوب المدافع الى القلعة المنهارة؟٠ وجدته الأيدى من كل ناحية ، ولطمته الأكف بالعصب المطل من شرفات العيون، ونادته أصوات مختلطة ببعضها وكرر الصدى النداء ، فرفع رأسه كأنه راية التسليم ، كأنه **البناء** يتشقق قبل أن ينهار ، وأراد أن يسأل الجموع عن سر غضبها عليه ، عن السخط المتحرك مع الايدى والاصوات ، ولما فشل فى ذلك كان يود لو تحداهم بابتسامة عادئة ٠ ان عملا بسيطا كهذا يدهشهم ويخيفهم بل ويروعهم٠ وجد كل شىء يدور حوله كأنه فى حلم ، ورأى أشخاصا كان يعرفهم بمجرد سماع أصواتهم وماتوا من مدة كبيرة وضاعت ملامحهم ، كانوا مرعجين وقساة ، كانوا وحوشا ، وحسب أن الزمن محاهم من الذاكرة وطوى سيرتهم فى الاكفان ، ولكن ها هم يعودون ٠٠

حملوه الى قاعة محكمة ووضعوه وراء القضبان ٠

لم يبق له سوى أن يتأمل الحاضرين، أداءهم شرك منصوب ينتظر حركة شفتية ، عيونهم سطح لامع يخفى تحته **البئر المعتم ، عيونهم عميقة كالصمت ،** يتمشى بين الاركان ثم يستريح فوق الرءوس وصوته طائر كسيح يجرب جناحية فيتنابه الاخفاق ويحط على الأرض ، فهل يطبق الفخ على فمه اذا تكلم ؟ ولماذا لم تسقط اللافتة على رأس

القاضى وهو ينطق بالحكم ؟ وهل صاح الحراس لانهاء الجلسة أم فرعا من الصمت الذى ساد القاعة ؟ وسمع صوت زوجة جاره فى العمارة كانت تبكى بمرارة وهى تقول له : أنت برىء .. أنت برىء .. فاستيقظ من نومه وهو يحس بصداع فى رأسه .. كان الظلام يغمر كل شىء، والساعة تدق مرتين ، وكالعادة سمع صرير المفاتيح وهى تدور فى الأقفال ، وسعال السكارى العائدين يسير بجانب وقع خطواتهم المتباعد ، ولما سمع صياح الديكة رفع الغطاء عن رأسه ، رفعه بقوة ، وجلس على فراشه وهو يقول لنفسه : ليس هنا ديكة .. وضحك من براعة الوهم وقدرته فى التسلط على حواسه ، ثم استأنف حديثه مع نفسه : انها أحلام الطفولة تراود ذهنى وتلح على الذاكرة .. ليس هنا ديكة ..

ونهض فاشعل النور وراح يتمشى فى الحجرة .. ما معنى أن يطارده الكابوس ثلاث ليال ؟ ما معنى أن يدينه الناس وهو برىء ؟

سمع باب الشقة المجاور له يتحرك، ثم يتوقف مصغيا لوقع خطوات الزوج وهو يدخل ،ثم يعود الى الحركة بعنف من استجاب للزوة طارئة ، وحدث اصطدام عنيف قبل أن يسود الصمت، دائما فى النهاية يسود الصمت . ثلاثة أيام وأنا الازم هذه الحجرة ، أصغى لصرير المفاتيح فى الاقفال ، والسعال المزق تحت وقع الأقدام ، وصياح الديكة المزعوم ، واستجابة الأبواب لوقع الخطوات الليلية التى لا ظل لها ، ثلاثة أيام ؟

ادكر آخر مرة نزلت فيها الشارع قابلنى جارى عند الباب الخارجى للعمارة وبادرنى قائلا : ثبت لدى بالدليل القاطع وبعد مراجعة نفسى أنى أجرمت فى حق زوجتى ، أنت تعرف زوجتى ، واذا لم تكن رأيتها فلا بد أنك سمعت صوتها ، وحين يسمع الانسان صوت انسان آخر يعرفه على الفور، وهى معذورة فيما فعلته معى ، ربما سمعت شجارنا أو بعضا منه ، وربما سمعت صوت أطباق وهى تتحطم ، وأنت من النوع الذى يسهر كما أعتقد ، وليس هناك عمل يشغلك ، فمن البديهى أن تهتم بأمور جيرانك ، من البديهى أن يحدث ذلك ، فلتسمع اذن ما حدث لتحكم .. دخلت عليها المطبخ، وكانت منهمكة فى تحريك الملعقة على النار ، لم تشعر بوقع خطاى لأنى أسير بحذر كما تعلم ، فى أغلب الاحيان وخاصة بالليل . وقفت أتاملها بعض الوقت حتى تنبهت لوجودى ، وعندئذ ابتسمت فى وداعة ، ولك أن تسألنى ، أى شيطان وسوس فى أذنى قائلا : **اسرق الاطمئنان من قلبها ، روعها حتى تنجو من بلادة الحس . . وهكذا حكيت لها ماشاهدته فى السينما،** رواية خنق فيها الزوج زوجته أثناء نومها ، خنقها بخطة محكمة وبعد تدبير، كانت رواية بشعة ، ارتاعت فى نهايتها وقاطعتنى قائلة : **لا تحك لى شيئا من ذلك مرة أخرى** .. وتركتنى وحيدا فى المطبخ قبل أن أكمل حديثى معها ، تركتنى وهى تمسك جبهتها بيدها اليمنى بعد أن سقطت الملعقة منها واستمرت تقول : بشرى .. أقسم بشرى أنت تتعمد ايلامى .. لا تحك لى شيئا من ذلك مرة أخرى .. وكان صوتها يرغم بعد المسافة بينما يخرج من

حجرة النوم ويعبر الصالة ثم يدخل المطبخ ببطء ولكن في قوة ..

وطاردته لسعةالبرد فلجأ الىالفراش، أحس بنعمة الدفء وخدر بسيط يتمشى في ساقيه ، فهل يترك النوم يغلبه مرة أخرى ويسلمه وليمة للكابوس ؟

سقطت ملعقة أو سكينة على الأرض في الشقة المجاورة ، واحتكت أطباق بعضها بسكينها لم تسقط على الارض ، وتلا ذلك نقاش بين الزوجين ، سمع الزوج يقول لزوجته : أنا لا أنكر تأثير الافلام البوليسية على أعصابي ، كما لا أنكر ادماني للقراءة ، والقراءة تخلق في صاحبها حالات نفسية معينة قد يعتبرها البعض مرضا ، ولكن كيف تتصورين أني أحقك أثناء نومك..كيف تتصورين مجرد تفكيري في ذلك ؟ وكانت الزوجة تبكي بمرارة وتتوسل اليه أن يكف عن تعذيبها بالافكار الغريبة والكلام الجارح، وتطلب منه ان ينام أولا حتى تطمئن هي الى النوم بعد ذلك .. كان شيئا مضحكا أن ينتظر كل منهما نوم الآخر في كل ليلة ..

وفي صباح اليوم التالي داس بقدمه على شيء وهو يهبط السلم ، كان السلم معتما ، ومن عادته ألا يهتم بالنظر الى شيء داس عليه ، ولكن الجو المعتم أثار فضوله فانحنى وأشعل عود ثقاب ليرى كل شيء بوضوح .. كانت هناك على طرف الدرجة قطة نائمة على الجنب والحبل يتدلى من رقبتها .. والاحشاء تطل من البطن وتكاد تسقط على الدرجة التالية ، كانت ميتة رغم أن فمها مفتوح ولم تكن تموء بطبيعة الحال ، ولو أنها فعلت ذلك لما اعتقد أنها حية ..

وأسرع يهبط السلم بمجرد انطفاء عود الثقاب ، بمجرد عودة العتمة أشد مما كانت عليه، أحس أنه يطارد مخاوفا كادت تغلبه ، مخاوفا من نوع خاص ، لو تجسدت أمامه في تلك اللحظة وانتصبت واقفة وصمدت ، لما استطاع أن يتغلب عليها ..

ولاحظ ارتباكه رجل رآه للمرة الأولى عند نهاية السلم، تقدم اليه وهو يبتسم في خجل ، وسأله عن ضابط بوليس يسكن في الطابق الثالث ، لاحظ أن ربطة عنقه غير موضوعة بإحكام، ثم عجب لأنه اهتم بربطة العنق دون سواها ، ولما أخبره بعدم وجود ضباط بوليس بين سكان العمارة ، اعتذر قائلا وابتسامته الخجولة تزداد اتساعا : سأبحث عن الشقة بنفسي لأن البواب نائم .. عند الباب الخارجي توقف وراح يسعل بقوة حتى استيقظ البواب، وأخذ يسعل هو الآخر فيما يشبه الاحتجاج ، وسمع صوت زوجة البواب وهي تطلب من زوجها أن يبقى،لكنه أصر على الخروج رغم الحاحها على بقائه بجوارها .. كان الاجهاد باديا على وجه البواب وهو يتكلم ..

لعل صوته واشارة يديه خير دليل على ذلك ، قال له : « **انني مازلت أبحث عن عمل مناسب في زحمة هذه المدينة**» فسعل البواب وهو يكرر «**عمل مناسب**» ثم راح يشكو من نزيف في أنفه استمر معه أغلب الليل وانقطع بعد مشقة ، وبدا الدم واضحا فوق شاربه وعلى خديه وفي أطراف أصابع اليدين ، كان كل شيء يقول لمن يراه أنه مجهد ، ورغم ذلك عاد الى زوجته وأغلق باب غرفته،

وسمعها تقول له فى صوت منخفض :
انت تخلع المنديل من رأسى رغم تحذيرى ٠٠ فى كل مرة تخلع المنديل من رأسى ٠

تقدم خطوة نحو الباب الخارجى ٠٠

انه يعرف بالتقريب ما يحدث فى الشارع الآن ، بعد انقطاع ثلاثة أيام قضاها معتزلا فى شقته ، يعرف الزحام فى ميدان العتبة قريبا منه ، زحام العربات فى وسط الشارع وزحام الناس على الارصفة ، وعندما بدأ خطواته الأولى ، سمع شخصا يسير محدثا آخر قائلا : **فى هذه الحالة أبلغ البوليس ٠٠** واستقل الترام من ميدان العتبة بلا هدف سوى رغبته فى اكتشاف المدينة بعد انقطاعه عنها ، وكان واقفا فاستطاع أن يشاهد أقدام العابرين فى شارع كلوت وأن يشاهد أطراف ثيابهم ، داست قدم عقب سيجارة مشتعل وطلت تسحقه فشعر بهدوء وزال عنه الاضطراب ، وتمنى لو أبطأ الترام قليلا ، لو توقف ثم سار ثم توقف ، ليتابع الصور التى تمر تحت عينيه ويحاول تركيز افكاره ، لماذا كرر المواب عبارة « **عمل مناسب** » ، ولماذا لم يسلمه أى خطاب ؟

وجاء المحصل ودخل فى نقاش مع أحد الركاب حول دفع ثمن التذكرة ، وتطور الأمر بينهما ، واكتسب مظهرا حادا ، كانا يقفان بجانبه ، ينظران اليه ويحاول كل منهما أن يثبت له خطأ الآخر ، ولم يكن هناك جدوى من وراء ذلك لأن كلا منهما ، بحسب كلامه ومنطقه ، كان غير مخطىء ٠٠ فشغل نفسه بتأمل فم المحصل ، كان كبيرا ومتسورما من أثر النفخ فى الصفارة طول النهار ، وأمسك الراكب برقبة المحصل وحاول أن يخنقه فصرخ الركاب جميعا وتوقف الترام ، كانت حوادث الخنق تثير دهشتهم كما بدا له ، وماعدا ذلك لا يستحق فى نظرهم الاهتمام ، وجاء السائق وهو يمسك فى يده مفتاحا حديديا ، مفاصا مرتعشا لأن يده كانت ترتعش أيضا ، ويقول للركاب من خلال ابتسامة عريضة على فمه : انى أقصد **تخويفهم فقط ٠٠ آه ٠٠ تخويفهم فقط،** وأهوى بالمفتاح الحديد على رأس الراكب فترك عنق المحصل ، والتفت الى السائق ، ثم حاول الاستناد على الركاب فتراجعوا مدعورين ، وتركوه يسقط بين المقاعد ٠

دخل مقهى فى شارع كلوت وطلب من الجرسون كوب ماء ، ولكن الجرسون كان منشغلا فى تلبية طلبات الآخرين فتمالك نفسه وقام الى الصنبور وأخذ يغسل نقط الدم العالقة بالقميص ٠

كان وراءه اثنان يلعبان الطاولة ، ثم توقفا عن اللعب عند مروره أمامهم ، وقال احدهما : خسرنا الدور وجاءت سيدة سمينة لطخت وجهها بالاصباغ ووقفت بجانبه ثم سألته باللامبالاة :

ـ ماذا تفعل ؟

ـ نقط دم على القميص ٠٠ كانت هناك مشاجرة ٠٠ والنتيجة كما ترين نقط دم على القميص ٠٠

ـ هل تشاجرت أنت ؟

ـ لا ٠٠ لست أنا الذى تشاجر ٠٠

فأولته ظهرها وهى تضحك وتقول محاولة تقليد صوته : لست أنا الذى تشاجر ٠٠ ولكن النتيجة نقط دم على القميص ٠٠ واستمرت تقلد صوته وتضحك حتى شعر بضيق ٠٠ ولكنه

سمع أقراص الطاولة تتحرك في أيدى اللاعبين ، وقال نفس الصوت السابق: سنبدأ الدور من جديد ..

وحين خرج من المقهى وجد الجموع فى انتظاره ..

لم تكن عربة الاسعاف قد وصلت بعد ، ويبدو أن الصف الطويل من عربات الترام المعطلة ، كان لها دخل فى تأخير نقل الراكب المصاب ، وكان السائق قد احتمى بزملائه فأغلقوا عليه احدى عربات الترام وظلوا ينتظرون مجيء البوليس ، كان السائق مضروبا بلا شك ، ولم يكن معروفا من الذى ضربه ، ولكن المعروف أنه ضرب الراكب بالمفتاح الحديد على رأسه، وكان السائقون والمحصلون قد تجمعوا هم أيضا وبدأوا يتكلمون ، اذن فالأفواه تتورم أيضا وتتضخم من كثرة الكلام لا من مجرد النفخ فى الصفارة طول النهار ، رأى المحصل يقف فى وسطهم وهو يصرخ بطريقة تلفت الانتباه ، يصرخ كأن الخطر ما زال يحيط به حتى الآن :

ـ فى البداية حاول خنقى .. وجدت صدرى يضيق عندما حاول خنقى .. وكان يقول لى وأصابعه تحيط عنقى .. انت لا ينبغى أن تعيش لأنك بليد الحس كحيوان .. لا ينبغى أن تعيش .. سأخنقك كقطة وأرميك فوق كوم زبالة .

وتزايد الزحام حين جاءت عربة الاسعاف ، فتحرك مبتعدا عن المقهى حتى لايطويه الزحام ، كان يحدث نفسه قائلا : ماذا يفعل الانسان اذا حاول آخر خنقه وهو نائم ؟ هل يمكنه الدفاع

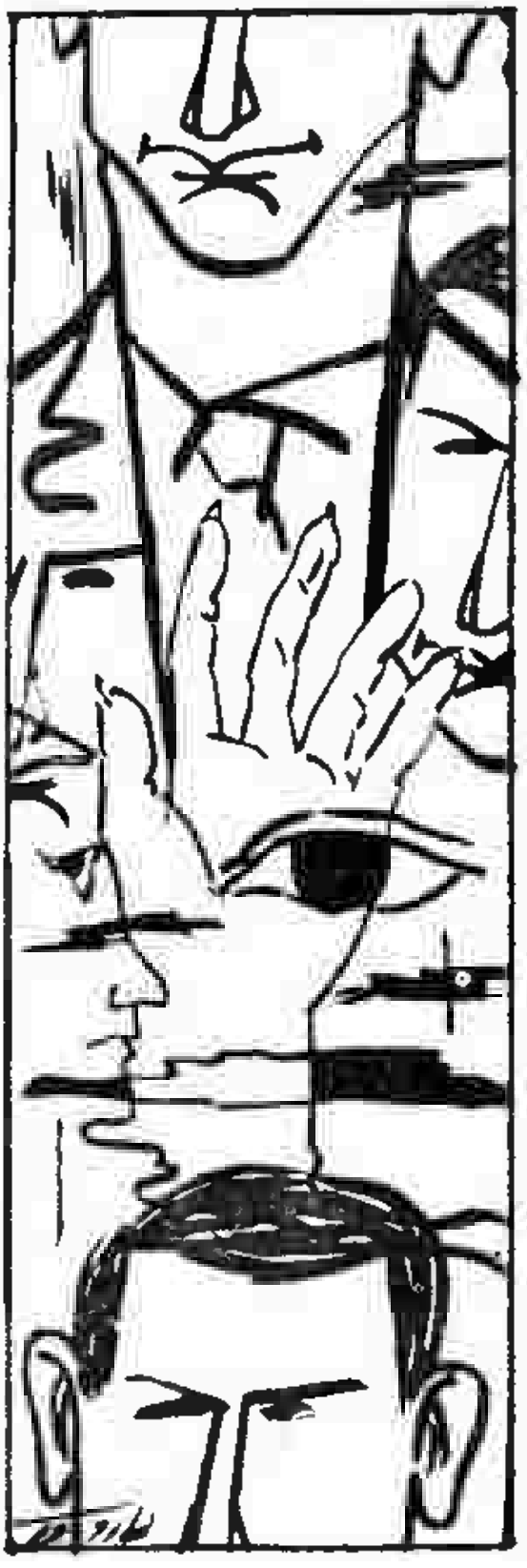

ضابط البوليس ، ثم الابتسامة الغريبة وهو نائم ؟

وسخر من نفسه لأن هذه الاسئلة طافت بخياله، وتذكر الابتسامة المحولة التى قابلته عند نهاية السلم قبل الباب الخارجى للعمارة ، وصاحبها يسأله عن التى أهوى السائق بعدها بالمفتاح الحديد على رأس الراكب ، من السهل أن يلفقوا له الجريمة ببساطة ، وما على الزوج الا أن يخنق زوجته بالفعل ، ويصعد البواب الى الشقة ويطرق الباب ، ويبدأ المحقق استجوابه بسؤال هادىء : متى بدأت صلتك بالزوجة القتيل وما مدى صداقتك لزوجها ؟ ولماذا بقيت فى شقتك ثلاثة أيام ، ومن الطبيعى أن يتنبه المحقق الى نقط الدم التى علقت بقميصه ، وتأتى السيدة السمينة لتقلد صوته وهو يقول : ولكن هناك لست أنا الذى تشاجر ‥ ولكن هناك دم على القميص ‥

واستمر يحدث نفسه ‥ ان زوجة جارى جميلة بلا شك ، جميلة كالعذارى فى أحلام المراهقين ولا أنكر أنى رأيتها فى يوم ، ثم اشتهيتها فى يوم آخر بل وفكرت فى حمايتها من ذلك الزوج المجنون وحين وصلت الى هذه النقطة من التفكير ، بدأت اكره جارى ، وواجهت نفسى بهذه الحقيقة التى لا مفر منها ، عندما قابلنى للمرة الثانية فى نفس اليوم وحدثنى قائلا :

ــ اصغ الى ، انى لم أرو لك الحوادث كما هى بل كنت أتوهم ، لم تكن زوجتى فى المطبخ ، لم تكن هناك على الاطلاق ، فمن الذى يطبخ فى الساعة الثانية صباحا ، ولم أكن دخلت فيلما كما تظن وانما قرأت قصة فرنسية عن شخص اراد أن يقلد البطل الذى أحرق معبد ديانا ، وبقيت شهرته تتردد فى التاريخ وعلى الألسنة ، رغم أن أحدا لم يعد يذكر المهندس الذى صمم المعبد ولا الذين بنوه ، لم أكن قرأت القصة حتى النهاية استقال البطل العصرى من عمله واشترى مسدسا ليقتل به الناس فى الطرقات ‥ كان يريد أن يراهم مندهشين فاغرى الأفواه ، وهم يسقطون ، كان يريد أن يقتل الغباء والتبلد فيهم ‥ وأنت تعرف زوجتى ، تعرف أنهـا طيبة ومطيعة ، ولكنها كسولة فى الوقت نفسه ، كسولة الى الحد الذى لا يحتمل ، أو هكذا تبدو لى ، وهى معذورة كما قلت لك من قبل لأن الحياة الزوجية مملة ورتيبة ، ولأنها لاتعمل ولا تخرج كثيرا بل تلازم البيت ، ومن يلازم البيت لابد أن يكون ضيق الأفق ، مهما كان استعداده الطبيعى للذكاء ، هذه بديهيات أنت تعلمها ‥ دخلت عليها حجرة النوم فى تلك الليلة ولمست عنقها بأصابع يدى هذه ‥ وقصدى من ذلك مداعبتها ‥ فهبت من نومها صارخة كأنها تهرب من كابوس يطاردها . وقالت لى انى أكرهها وأحاول قتلها ‥ وأنها رأتنى أخلع المنديل من رأس زوجة البواب وأنا أغازلها ‥ تصور أنى أغازل زوجة البواب ؟ كانت تتكلم كثيرا بلا وعى منها ، كانت تهذى ثم راحت تبكى دون انقطاع ‥ وبقيت أحاول تهدئة روعها وتبديد مخاوفها حتى نامت على ذراعى ‥ وعندئذ كان فى امكانى أن أخنقها ، والخنق عملية سهلة كما تعلم ولكن النتيجة مختلفة ‥ وشعرت بأنى ادهشتها وروعتها بما فيه الكفاية وكان البطل العصرى يخشى مطاردة الناس بعد اطلاق الرصاص ‥ يخشى أن يفقأوا له عينيه ويحطمون أسنانه ‥ ولهذا تردد قبل أن يبدأ التنفيذ ‥

وبقي حتى المغرب يتنقل من مكان الى آخر بدون هدف ، وقابله صديق قديم فصافحه بقوة ثم بادره بالسؤال : ـ

ما زلت حتى الآن بدون عمل ؟

ـ اني ابحث عن عمل مناسب .. فانا ضعيف الجسم كما ترى .. ضعيف الى الحد الذى لايسمح بالارهاق .. واخشى الاختناق ان وضعوا لى مكتبا فى حجرة مغلقة ...

ـ ما زلت حتى الآن بدون عمل

ويخشى الاختناق..أنا لا أخشى الاختناق وفى نفس الوقت أعمل .. وكان طول الوقت ينظر الى نقط الدم العالقة بالقميص ثم يتجاهلها حتى وهو يصافحه فى فتور ثم ينصرف ..

ترك ميدان العتبة فى طريقه الى ميدان الأوبرا محاذيا سور الازبكية ، معتقدا أن هناك من يتبعه ويراقب حركته من مكان الحدث فى شارع كلوت .. كان الرقيب يتخفى متظاهرا بالاهتمام بقراءة عناوين الكتب على السور ومحاولة فض أغلفتها ، وسأله : هل يحب قراءة الكتب فأجابه بالنفى ، كان يرى أن الكتاب قد يملكون ذكاء نظريا وقدرة على الجدل وتصور الأحداث ، ولكنهم أغبياء فى الواقع لا يحسنون التصرف ويميلون الى السلبية ، لم يقل له هذا الرأى مفضلا أن يحتفظ به لنفسه .. ودخل الرجل فى جدل مع بائع كتب ، واستمر الجدل فترة طويلة لكنه انتهى الى لا شىء ومضى مشيعا بتعليق ساخر ، فاستراح لانه تخلص من هذا الرقيب ، وعاد يقطع نفس المسافة دون أن يعير الكتب أى اهتمام ..ورأى الرجال الذين كانوا يسيرون وظهورهم أمامه،رأى وجوههم، كانت العيون شاردة وحزينة تتحرك ببطء وتفحص الكتب بدقة ، وقبل نهاية السور وجد جاره منهمكا فى تقليب الكتب ، قرر أن يتحاشاه ويمضى مسرعا لكنه تنبه اليه ، صافحه وهو يتأمل ، فى دهشة ، نقط الدم على القميص ، من الغريب أن يسير انسان فى طرقات المدينة وعلى قميصه نقط دم ، حتى لو لم يكن هو المتسبب فى وجودها ، قد يظنه البعض مهروما خرج لتوه من معركة ، أما الغالبية فتعتبره على الأقل جزارا وسفاح أطفال ، وفى مقهى قريب جلس مع جاره الذى أخبره بعثوره على قطة مخنوقة عند الباب الخارجى للعمارة،واتهم البواب بالاهمال ، والاعتكاف طول الوقت داخل حجرته المغلقة ، ولما سأله عن القصة التى قرأها ، أجابه قائلا :

ـ ان البطل العصرى فشل فى النهاية ولم يقتل سوى واحد من الاغبياء ، كان فى مسدسه ست طلقات ولم يقتل سوى واحد من الاغبياء ، ولكن ينبغى الا تيأس سترى انى قادر على ادهاشهم وقتل تبلدهم ، سترى الليلة نتيجة ذلك عندما تعود الى شقتك .. ونظر الى نقط الدم على القميص وهو يقول مواصلا حديثه :

ـ لو أنى كتبت رواية جيدة ثم أحرقتها لما شعرت بأسف والنيران تأكلها وتلعق بقاياها بأطراف الألسنة ، أحس براحة لأنى اعددت وجبة طيبة للنيران ، فاذا تأججت وهى تحرق أوراقى تأكدت أنى طاه جيد ..

وتذكر وهو يصافح جاره منصرفا ، منظر المحصل وهو يصرخ بطريقة تلفت الانتباه ، فى البداية حاول خنقى..وجدت

صدرى يضيق عندما حاول خلقى ..
ورأى السائق مقبلا أمامه وهو يقول للركاب من خلال ابتسامته العريضة انى اقصد تخويفهم فقط .. آه .. تخويفهم فقط ..

وأضاءت أنوار النيون فى شارع فؤاد وبدأ الزحام ، فجلس على مقعد خشبى بحديقة الازبكية وأخذ يحدث نفسه : لماذا لا أعود الآن ، لماذا أخاف العودة المبكرة ؟ لن استلقى مرة أخرى على الفراش وأخضع لسلطان الاحلام .

ورأى القطة المخنوقة تنام على كوم زبالة أمام العمارة ، فعبر الباب الخارجى ووقف مترددا أمام حجرة البواب المغلقة وسأله عن أى خطاب وصل اليه،فأجابت زوجته من الداخل بالنفى وراحت تشكو له شقاوة الأولاد فى العمارة ، فبدأ يصعد السلم قبل أن تذكر شيئا عن القطة المخنوقة ، وعندئذ شعر بأقدام تتحرك خلفه ، كان هو نفس الرجل الذى قابله فى صباح اليوم ونفس الابتسامة الخجولة كانت هناك ، على شفتيه ، بلا معنى محدد، عندما قال له

ـ سمعت صوتا نسائيا يصرخ وأنا أصعد السلم باحثا عن شقة الضابط .. صوت نسائى أعقبه صوت رجل يناوه ، كأنه يموت مودعا شيئا عزيزا عليه .. والبواب نائم .. ولم أعثر حتى الآن على شقةالضابط .. رغم حضورى مرتين .

تركه مواصلا الصعود ، كان باب الشقة المجاورة له مفتوحا ، وخط رفيع من الضوء يتسلل منه ، اقترب برأسه من الفرجة الضيقة للباب ، وجد الضوء خافتا فى الداخل ، ولذلك قدر أن أحدا لن يلحظ وجوده .. رأى الزوجة واقفة وقد اعتمدت بيديها على ظهر أحد المقاعد الكبيرة ، رآها منهارة ، ولا بد أنها كانت ترتدى ملابس حفيفة ، لأن صوتها كان مرتعشا ، كانت تنطق حروفا متفرقة ولا تقوى على نطق الكلمة مرة واحدة .

وشعر بالحيرة تعصره وهو واقف يتأملها .

انه رآها يوما واشتهاها ، فهل أذنب لأنه أبدى هذه الرغبة ، بينه وبين نفسه ؟ هل أذنب حقا ؟ ومتى تكف الأوهام عن مطاردته فى كل مكان ، متى يكسر حلقة الحديد التى تحيط برقبته ، يكسرها قبل أن تخنقه ..

عاد يتأمل الزوجة ، كانت تتكلم وتتكلم دون أن تتلقى أى جواب ، ولم يكن هناك اثر لوجود زوجها فى الصالة كما لم يكن هناك أثر لصوته .. كانت تحدث نفسها كأنها فى صلاة ..

وظل يتمشى فى حجرته حتى دقت الساعة مرتين ، كان مصرا على الاحتفاظ بتمام وعيه ومغالبة الأوهام .. ولم يسمع صرير المفاتيح فى الاقفال ، ولا السعال المزق تحت وقع الاقدام ، ولا صياح الديكة المزعوم ، فقال لنفسه

ـ مهما كانت النتيجة فساخرج لهم عندما ياتون .. ساخرج بنقط الدم على قميصى .. واتحدى الجموع وعلى فمى ابتسامة هادئة ..

احمد هاشم الشريف